

## نجوم فى سماء الفن

---

- (سيد درويش) فن من الشعب للشعب
- (محمد عبد الوهاب) مطرب الشعب الأستقراطى
- (يوسف وهبى) فنان عاش ألف عام
- (نجيب الريحانى) ناظر مدرسة الضحك
- (إسماعيل ياسين) مجوهراتى الضحك.
- (عبد الحلیم حافظ) آخر فرسان الرومانسية





## سيد درويش فن من الشعب وللشعب

- ٢٨ مسرحية وعشرات الأغاني في ٢١ عاماً
- رفض الأذن عقد قرانه لأنه موسيقى فقال: اكتب يا مولانا، المهنة مدرس
- جليلة سلبت عقله وانتقم لكرامته منها
- زكريا أحمد جاءه من القاهرة ولم يغادر الإسكندرية إلا معه.
- لن لا يعلم: يا بلع زغلول، أغنية وطنية



هو فنان الشعب قولاً وعملاً، ولد من رحم معاناة الناس، ألحانه آهات وأحلام البسطاء والغلابة الكادحين المطحونين، عانى الجوع وقاسى برد الليالى. وداسته أقدام الغربية وثقلته الحاجة، ضربه سوط الحب. نرف قلبه لغياب المحبوبة، مات عشقاً فى حب مصر. كان صوت الشعب بكل فئاته، غنى للسقاين والشياطين والجرسونات، كان صوته ثورة تشعل نار الوطنىة فى القلوب. كان سيد درويش فناً سابقاً لعصره، جاءت ألحانه علامة فى تاريخ الألفية العربية ونقله هامة فى سيرة المسرح الفناى. حياته مزيج من الكفاح والمعاناة والحب والألم.

فى حى «كوم الدكة» أحد الأحياء العتيقة فى مدينة الإسكندرية وفى يوم ١٧ مارس سنة ١٨٩٢م رزق درويش البحر بولد سماه «سيد» وكان مولده خيراً وبركة وإيدانا بميلاد جديد للألفية العربية، وكانت حياته وماهبه الله من صوت وعبقرية فنية عوامل نهضة صنعت عصراً جميلاً من الفناء.

فقد كان مثل صياد اللؤلؤ الماهر، غاص «سيد درويش» فى أعماق المجتمع المصرى وحول الدرر المكنونة إلى أغنيات ردها الملايين على مدى قرن من الزمان ولا تزال تردها حتى اليوم.

عندما بلغ الطفل «سيد» الثامنة من عمره أرسله والده رغم فقره إلى مدرسة «شمس المدارس» وهناك بدأت ماهبه تُعلن عن نفسها، صوت جميل، إحساس وطنى عال، مما جعل ناظر المدرسة يكلفه يومياً بأداء التشىد الوطنى، فكان صوته يلهب حماس التلاميذ والأساتذة. كانت أسرته متدينة، بعد ثلاث سنوات ألحقه والده بالمعهد «العباسى» حيث حفظ القرآن الكريم وجوده.

## قارئ محترف

وامتدت شهرته فى القراءة إلى أرجاء الإسكندرية، فعندما ذهب ليصلى الجمعة فى جامع «أبو العباس» كان القارئ غائبا، فطلب منه شيخ الجامع أن يقرأ سورة «الكهف» ورغم أن الخوف تملكه، حيث كانت تلك أول مرة يقرأ فيها القرآن أمام الناس، استجمع فؤاده وراح يقرأ كلمات الله: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾» (صدق الله العظيم). استمر فى القراءة والقلوب تتجاوب بإنصات وخشوع كبيرين.

وعلا ذكر الشيخ سيد درويش. كقارئ محترف للقرآن، ولم يكن عمره يتجاوز الخامسة عشرة. وتوفى درويش البحر، وابنه سيد مازال فى الرابعة عشرة، وترك له مسؤولية رعاية الأسرة. التى لم يترك لها مورداً للمعيشة ففتح «الشيخ سيد» محلاً صغيراً للعطارة، إضافة إلى قراءة القرآن حتى يوفر ما يكفى لمعيشة أسرته.

## عاشق الموسيقى

عشق آخر للموسيقى والغناء يناديه، ووشوش به البحر إلى قلبه الصغير. ونما داخله مع نداءات الصيادين والشيالين وجرسونات المقاهى فى كوم الدكة وشارع النبى دانيال وحوارى بحرى وكرموز. فطالما غنى لنفسه على العود. الذى اشتراه من النقود القليلة التى كان يذخرها. كان يغنى أغانى عمالقة الغناء: عبده الحامولى ومحمد عثمان وصالح عبد الحى والشيخ يوسف المنيلوى. وتمنى الشيخ «سيد» فى أعماقه أن يكون مثلهم، فيلحن ويغنى ويكون موسيقياً مثل الشيخ «سلامة حجازى»

وبدا فى المقهى. الذى يرتاده يغنى ويلتف الناس حوله. فقد وجدوا فى صوته وفى طريقته شكلاً جديداً. حرر الأغنية من أسر القوالب والمقامات التركية وبدأ الناس يرددون معه:

أنا هويت وانتهيت      وليه بقى لوم العلول  
يحب إنى أقول ياريت      الحسب ده عنى يسزول  
مادمت أنا بهجره ارتضيت      خلى بقى اللى يقول يقول

ووجد المحبون سلوتهم مع صوته، عندما يغيب عنهم الحبيب فغنوا معه:

ازورونى كل سنة مرة

حرام تنسونى بالمرة

أنا عملت إيه فيكم

تساكونى وأشاكيكم

أنا اللى عمرى أداويكم

حرام تنسونى بالمرة

### مطرب وملحن

وجعله حبه للفن يلتحق بفرقة أمين وسليم عطا الله، التى سافر معها إلى الشام فى رحلتين. وكانت الرحلة الثانية ذات تأثير كبير فى مستقبله الفنى، حيث درس الموسيقى على أيدي أساطين الفن ومنهم الشيخ حسن الموصلى. وتفتحت عيناه على عالم الموشحات والقنود الحلبية. فحلّق فى آفاق أرحب وأوسع، وأنطلقت موهبته وتعددت ألحانه.

وامتازت ألحانه بالسهولة والبساطة، والجمل اللحنية سريعة الوصول إلى القلب، فحفظ كل الناس أغانيه ورددوا ألحانه:

يا ورد على فل وياسمين

الله عليك يا تمر حنة

باللى عاوج لى طربوشك

على سنجة عشرة

قرب هنا  
تعالى عندنا  
خد ورد يا بيه  
خدى فلة يا هانم  
خدلك هدية لحبيبتك  
ست البنات  
دنا اسمى نرجس  
والله إن ما كنت تنفعنى  
لازعى وأقول  
راجل مفلس  
قرب هنا  
تعالى عندنا

ودق قلب سيد درويش لتطوله سهام الحب. أحب العاملة - الراقصة - «جلیلة»  
وهى حسناء رائعة الجمال. ملكت عقله وروحه.

### سهام الحب

وكان يغنى فى إحدى الليالى وأحس بأن الناس لاهون عنه، فتألمت كرامة  
الفنان فى داخله وكاد يتوقف عن الغناء. لكن وقعت عيناه بالصدفة على تلك  
الفاطنة، التى كانت تجلس بين الناس تتابع كلمات أغانيه تطربها ألحانه، حيث  
أشارت إليه بعينيها: «أن استمر فى الغناء فأنا أسمعك». فغنى من أعماقه كما لم  
يغنى من قبل، وكأنه يغنى لها وحدها.

واشتهر بحبها، مما جعل عشاقه يفضبون منه، فهم يريدون أن يروه دائما فى  
صورة جميلة. وأشفقوا عليه من تلك المرأة المعروفة بتعدد عشاقها. لكنه الحب  
الذى جعله يغنى قائلا:

«تهمونى فى حبك تهمونى الله يجازيهم ظلمونى»

عشقه «جليلة» العالمة. أثار غضب أسرته فقد أساء إلى سمعتهم بارتباطه بهذه السيدة وبات مصير شقيقاته المتزوجات مُهدداً، واعتزل الفن وعمل فترة في تجارة الأثاث وفي العطارة والنقاشة، لكن الفن كان يجرى في عروقه مجرى الدم، لا يستطيع أن يعيش من دونه وعاد الفنان الساكن في أعماقه يطل برأسه من جديد، وكانت العودة بدوره الشهير «في شرع مين».

«في شرع مين قاضى الهوى

يذله خصمه ويحكمة

هو الطبيب مالوش دوا،

وسرى إزاي أحكمه

وآدى النواح بالسرباح

يكفى افتضاح

بين العباد أمرى اشتهر».

وعاد إلى حبيته. التى أرادت أن تشعل نيران الغيرة فى قلبه فكانت كثيرة الصدود تعذبه بأنوثتها، ولا تتركه يهدأ، فأخذ يغنى لها:

«ياللى قوامك يعجبني

ليه بس ترضى لى صدودك

يا هل ترى بتأدبنى

أكمن عدالى شهودك»

وعندما استمرت فى دلالتها. ضاق صدره من غرورها فأخذ يحذرهما فى أغانيه قائلاً:

«ما تطلعيش فيها يا هانم

دى كلها يومين وتعدى

دى كلها يومين ويحيلوكى

على المعاش وحياة أبوكى

لكن قلبه ظل يخفق بحبها، فكانت رائحته «ضيعت مستقبل حياتى»

«ضيعت مستقبل حياتى فى هواك

وازداد عليه اللوم وكتر البغدة

حتى العواذل قصدهم دايمًا جفاك

وأنا ضعيف ما قدرش استحمل كل دا»

### ليالى القاهرة الساطعة

وبعد أن أشتهر سيد درويش ووصل صيته إلى القاهرة كان لابد أن ينتقل إليها. فلم تعد الإسكندرية تتسع لعبقريته الفنية. وكان الشيخ زكريا أحمد قد استمع لآلحان هذا العبقرى الفذ، ولابد أن تكون له مكانته اللائقة به تحت سماء القاهرة.

عقب الإفطار مباشرة فى إحدى ليالى رمضان غادر الشيخ زكريا القاهرة فى طريقه إلى الإسكندرية للبحث عن سيد درويش. وبعد أن وصل إليه ذهب معه إلى بيته وظل يستمع لآلحانه، حتى طلع عليهما الفجر، فتناولا سحورهما، وأصر زكريا أحمد على أن يصطحب سيد درويش معه إلى القاهرة، ليغنى جنبا إلي جنب مع عبده الحامولى ومحمد عثمان وصالح عبد الحى، الذين كانوا يشاركون فى إحياء ليالى رمضان على أحد المسارح وفى شارع عماد الدين، وبعد إلحاح، وافق سيد درويش وحضر إلى القاهرة واستمع له صاحب الحفلات وضمه إلى عمالقة الغناء لإحياء ليالى رمضان.

وبعد أول ليلة أصر سيد درويش على ترك القاهرة والعودة إلى الإسكندرية وكان السبب أن متعهد الحفلات مجمد عمر، أعطاه فى آخر الليل خمسة عشر جنيهاً. مما أغضبه فصمم على عدم العمل معه، وعاد بالفعل إلى الإسكندرية، إلى أن ذهب الشيخ زكريا أحمد إليه مرة أخرى فى «كوم بكير» وعاد به لكى

يعمل مع فرقة الريحاني، التي لحن لها مسرحيات عديدة، منها: «ولو» سنة ١٩١٩م. و «العشرة الطيبة» سنة ١٩٢٠م.

### نصف الدين

أراد الموسيقار الموهوب أن يتزوج وكان قد بلغ السابعة والعشرين من عمره، كان قد استقر في القاهرة في جزيرة بدران. وفي يوم الخميس ٢٩ مايو من عام ١٩١٩م. جاء المأذون لعقد القران، وبعد أن حضر أوراقه وبدأ في كتابة اسمى العريس والعروس، وهمَّ الشيخ سيد ليضع يده في يد وكيل العروس. سأل المأذون ما هي مهنة العريس؟  
فرد بعفوية قائلاً: موسيقى.

وما أن سمع المأذون هذه الكلمة. حتى انتفض مذعوراً وهب واقفاً، وأخذ يللم أوراقه وهو يقول: «أعوذ بالله من غضب الله» فقد كانت مهنة الموسيقى، أو الغناء في ذلك الوقت من المهن التي تعود الناس على عدم احترامها، فلم تكن تُقبل شهادة الموسيقى أو الفنان. في المحاكم.

ولم يكمل المأذون عقد القران، إلا بعد أن قال له الشيخ سيد «أكتب يا مولانا: المهنة مدرس».

### مُعَلِّم الشعب

وكان الشيخ سيد درويش بالفعل معلماً. فقد ربي أذواق الناس، وأعطاهم دروساً كثيرة في الحياة والوطنية، وارتبط بكل فئات الشعب: العظماء والبسطاء الذين أحبهم وخالطهم. وجعل من كلماتهم وتعابيرهم البسيطة الحاناً خالدة.

غنى للسقائين:

«يعوض الله

يهون الله

ع الساقين

دُول غلبانين

متهدلين

م الكوبانية»

كما غنى للشبالين والجزارين وللشحاذين والمراكبية والجرسونات، وطاف سيد درويش حواري مصر واختلط بأبنائها وعاش حياتهم، وأخذ من كلماتهم ألحانه التي عبرت بالسنة جميع المصريين البسطاء وأهل البلد الطيبين والغرياء، الذين ارتضوا الحياة على أرضها من «شوام» ومغاربة وبرابرة، وروم وأتراك «وخواجات»، وكان لمصر مكان كبير في قلب وعقل ووجدان سيد درويش، أحب ترابها وناسها، ونيلها، وكل شئ فيها، في أغنياته عشق للوطن وحماسة تثير حمية المصريين، ولم يكن غريباً أن يرتبط الموسيقى الذي توحد بمشاعره مع آمال الشعب وآلامه، بأحداث ثورة ١٩١٩م وزعيمها سعد زغلول، الذي أصبح رمزا لكل المصريين، وتحدى سيد درويش الاستعمار وجعل اسم سعد زغلول. يتردد على السنة كل الناس، عندما لحن أغنية عن زعيم الأمة على لسان بائع متجول يبيع البلح وردد المصريون كلهم معه هذه الأغنية.

يا بلح زغلول

يا حليوة يا بلح

يا زرع بلدى

عليك يا وعدى

يا بخت سعدى

زغلول يا بلح»

كانت أغنياته تلهب حماسة الثائرين وتدفعهم إلى الثورة:

«قوم يا مصرى

مصر دائماً بتناديك

نصر مصر، نصر دين واجب عليك»

وتحولت هذه الاغنية إلى نشيد على السنة كل المصريين فى المدن والأرياف.  
وكان بأغنياته يبعث العزة والمجد فى نفوس المصريين، حتى يهبوا للدفاع عن  
مجدهم ووطنهم:

«أنا المصرى

كريم المنصرين

بنيت المجد بين الأهرامين

جدودى أنشؤوا العلم

العجيب

ومجرى النيل فى الوادى

الخصيب

لهم فى الدنيا آلاف السنين»

## المجدد

وخلال عمره القصير، الذى لم يمتد لأكثر من ٣١ سنة أثرى سيد درويش  
المسرح الغنائى بكم من الإنتاج والإبداع لم يصل إليه من عاشوا ضعف عمره،  
وكانت ألحانه المسرحية بمثابة ثورة موسيقية ولحنية، وبركاناً يفجر الغضب الوطنى  
ويؤازر الحماسة القومية، ويتناول سلبيات المجتمع والفوارق الاجتماعية والظلم  
الاجتماعى والاحتلال البريطانى، وفساد القصر والأحزاب، ولم تقتصر ألحانه  
فى هذه المسرحيات على الجمال والإبداع الفنى، وإنما كانت وقوداً للثورة.

قدم سيد درويش ٢٨ مسرحية بدأها بمسرحية «فيروز شاه» التى قدمتها فرقة  
«جورج أبيض» فى ٢١ يوليو عام ١٩١٨م، ثم مسرحية «ولو» لفرقة الريحانى  
سنة ١٩١٩م، والتى قدمت له أيضاً سنة ١٩٢٠م مسرحية «العشرة الطيبة»  
وقدمت له فرقة منيرة المهدي فى العام ذاته مسرحية «هدى»، وقدمت له فرقة  
عكاشة سنة ١٩٢١م، مسرحية «عبد الرحمن الناصر» ثم قدمت له فى العام ذاته

مسرحية «شهرزاد»، ولحن أيضا مسرحية «الباروك» فى نفس السنة. وقدمتها فرقة التى كان يشاركه فيها عمر وصفى. وقدم بالاشتراك مع بديع خيرى سنة ١٩٢٣م مسرحية «كليوباترا ومارك أنطوني»، وقدمت له أيضا فى العام ذاته فرقة «على الكسار» مسرحيات «البربرى فى الجيش» و «الانتخابات» و «اللى فيهم».

## رحيل وخلود

وفى ١٥ سبتمبر ١٩٢٣، وبينما كانت مصر كلها تستعد لاستقبال زعيم الثورة سعد زغلول، العائد من منفاه، بعد الهبة الجماهيرية العظيمة، كان فنان الشعب الذى أشعل نيران الثورة بألحانه يسلم الروح، وكأنه كان على موعد مع تحقيق الأمل ورحل جسد سيد درويش، وظلت ألحانه الخالدة تتردد بين الناس ويقتبسها الملحنون والمطربون.